الدرس السادس عشر

دولة الملثمين او المرابطين في مراكش

تمهيد

يرتقي نسب هذه الدولة الى قبيلة صنهاجة ، احدى قبائل البرانس من البربر ، ومن هذه القبيلة نشأت دولتان عظيمتان، احداهما الدولة الصنهاجية في تونس ، والثانية دولة الملثمين في المغرب الاقصى ، والاوسط والاندلس ، وهي الدولة التي سنسرد خلاصة تاريخها فيما يلي ، وقد اسلمت هذه القبيلة بعد فتح الاندلس، وكانت الزعامة فيها للمتدنية ، وقد جاهدوا الامم السودانية احسن جهاد ، وحملوهم على الاسلام ، فدان به كثيرون ، ثم افترق امرهم بعد ان ظلوا مئة وعشرين سنة مجتمعين .

لماذا سموا ملثمين

قيل في اسباب تسميتهم ملثمين اقوال كثيرة ، منها ان قوماً من اعدائهم كانوا يطرقون بيوتهم عند غيابهم فيأخذون المال والحريم ، فاشار عليهم بعض شيوخهم ، ان يرسلوا النساء في زي الرجال الى ناحية ويقعد الرجال في البيوت ملثمين ، فاذا جاء العدو

وظنهم نساء ثاروا عليه ، ففعلوا ذلك ، وفتكوا باعدائهم ، ولزموا اللثام تبركاً به ، والصحيح ان صنهاجة قبيلة بدوية ، ومعظم البدو يتلثمون لشدة الحر والقر ، حتى اصبح اللثام عادة ملازمة لهم .

محمد بن تيفاوت

تولى الامير محمد بن تيفاوت المعروف بتاسرت اللمتوني امر الملثمين سنة ٤٠٠ هـ وكان من اهل الفضل والدين والجهاد ، فلبث فيهم ثلاث سنوات ، ثم قتل في بعض غزواته سنة ٤٠٣ هـ

يحيى بن ابراهيم الكدالي

لما توفي ابن تيفاوت قام بالامر بعده يحيى بن ابراهيم الكدالي سنة ٤٠٣ هـ فاستمر على زعامتهم وحربهم لاعدائهم الى سنة ٤٢٧ هـ فاستخلف في هذه السنة على صنهاجة ابنه ابراهيم بن يحيى وسار الى المشرق لاداء فريضة الحج فلما قضى حجه مر بالقيروان فلقي فيها الشيخ الفقيه أبا عمران الفاسي ، فطلب من الشيخ ان يرسل معه بعض طلبته لتعليم قبيلته القرآن والفقه ، فلم يرض احد من طلبته بالذهاب ، فاعطاه الشيخ كتاباً الى الفقيه «واجاج بن زلو» في مدينة نفيس ، ليبعث معه بعض طلبته ، فاخذ الكتاب وذهب الى مدينة نفيس ، والتقى بالفقيه ، فارسل معه احد

طلبته عبد الله بن ياسين الجزولي ، فخرجـا الى الصحراء ، فتلقتهما قبائل كداله ولمتونه بالابتهاج والاكرام ، وشرع عبد الله يعلمهم القرآن ورسوم الدين

نزع العادات صعب

كانت قبائل البربر مستأصلة فيها عادات مخالفة لروح القرآن فصعب عليهم الاقلاع عنها ، فاعرضوا عن عبد الله ورفضوا تعاليمه فعزم على الرحيل ، فلم يتركه الامير يحيى قائلاً له : اني انيت بك للانتفاع بعلمك في خاصة نفسي

ثم اشار الامير على الفقيه ان يعتزلا العالم ويتعبدا الله في جزيرة قريبة هناك ، فوافقه الفقيه ، وذهبا الى الجزيرة ومعهما سبعة رجال من كدالة

لقب المرابطين

ثم ابتنى عبد الله رابطة في الجزيرة واقام في اصحابه يعبـدون الله ، فسمع الناس بهم فكثر عليهم الواردون والتوابون ، فلم يمر عليه زمن يسير ، حتى اجتمع له من التلامذة زهاء الف رجل من اشراف صنهاجة ووجوهها ، فسماهم المرابطين للزومهم رابطته وشرع يعلمهم

الدعوة الى الجهاد

ولما آنس منهم التقوى حرضهم على ارشاد قبائل صنهاجة ووعظهم فوعظوهم ، فلم يتعظوا ، فخرج اليهم عبد الله بنفسه ووعظهم ، فلم يسمعوا ، فلما يئس منهم أمر اصحابه بجهادهم فجاهدوهم حتى انتصروا عليهم ، وبايعوهم على اقامة الكتاب والسنة والسمع والطاعة

تجنيد الجنود وامتلاك الصحراء

فلما قوي امر عبد الله بن ياسين اخذ في اشتراء السلاح وتجنيد الجنود لغزو القبائل ، حتى ملك جميع الصحراء وذللها فطار صيته في جميع بلاد المغرب ، ثم توفي يحيى بن ابراهيم امير صنهاجة على اثر ذلك سنة ٤٣٤ هـ

يحيى بن عمر اللمتوني

بعد وفاة يحيى بن ابراهيم اختار عبد الله بن ياسين ، ابا زكريا يحيى بن عمر اللمتوني ليقوم بامر المرابطين في جهادهم ، فولاه امر صنهاجة فكان الامير في الحقيقة هو عبد الله بن ياسين ، وكان يحيى بطيعه طاعة عمياء ، وبذلك استقام له الامر في جميع بلاد الصحراء

الاستيلاء على سجلماسة ودرعة

ولم تدخل سنة ٤٤٧ هـ حتى كان انتشر ذكر عبد الله بن

ياسين واصحابه المرابطين في الغرب الاقصى ، فاجتمع فقهاء سجلماسة ودرعة و كتبوا الى عبد الله ويحيى واشياخ المرابطين كتاباً ، يطلبون فيه المجيء الى بلادهم ، وتطهيرها من المنكرات والظلم ، فسار اليهم عبد الله في جيش كثيف من المرابطين ، حتى وصل الى بلاد درعة فاستولى عليها ، ثم استولى على سجلماسة بعد قتال شديد مع حاكمها مسعود بن وانود بن الخزروني ، ثم اصلح شأن البلاد وازال المنكرات ، واقام احكام الكتاب والسنة ، وولى عليها عاملاً من لمتونه وعاد الى الصحراء ، وفي هذه السنة (٤٤٧ هـ) توفي الامير ابو زكريا يحيى في احدى غزواته في بلاد السودان .

ابو بكر بن عمر اللمتوني

لما توفي الامير يحيى ولى عبد الله بن ياسين مكانه أخاه ابا بكر بن عمر وذلك سنة ٤٤٧ هـ

السوس والمصامدة وبرغواطه

وفي سنة ٤٤٨ جهز عبد الله جيشاً من المرابطين لفتح بلاد السوس فجعل على مقدمته يوسف بن تاشفين ابن عم ابي بكر بن عمر فزحف الجيش واستولى على تلك البلاد ونشر فيها مذهب اهل السنة والجماعة ، ثم زحف على بلاد المصامدة واستولى عليها ثم استولى على بلاد قبائل برغواطة

وفاة عبد الله وتجديد البيعة

وفي حروب القبائل جرح عبد الله بن ياسين سيد المرابطين ونوفي متأثراً من جروحه سنة ٤٥١ ﻫ فاستمر الامير ابو بكر على رئاسته وجددت له البيعة ، ثم عاد بعد ان اخضع قبائل برغواطة الى مدينة اغمات فاقام فيها الى صفر سنة ٤٥٢ ﻫ

بلاد زناتة ومكناسة

وفي هذه السنة « ٤٥٢ ﻫ » خرج الامير ابو بكر غازياً في جيش جرار ، ففتح بلاد فزاز وسائر بلاد زناتة ومدائن مكناسة ثم افتتح مدينة لواته عنوة ، ثم عاد الى مدينة اغمات.

مبدأ امر يوسف بن تاشفين

وفي السنة نفسها « ٤٥٢ » بلغ أبا بكر ان الخلاف نشب في الصحراء ، فسار اليها لقمع الخلاف واستخلف على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين وكان فاضلاً شجاعاً ، فقام بالامر احسن قيام حتى عظم شأنه ومالت اليه القلوب.

تنازل ابي بكر عن الرئاسة

ولما اصلح ابو بكر احوال الصحراء وقمع المفسدين سمع بعظم شأن ابن عمه يوسف بن تاشفين فخافه واراد عزله ، وكان ليوسف زوجة تدعى زينب بنت اسحق النفزاوية ، وكانت متزوجة قبله بابي بكر « وكانت ذات جمال ودهاء معاً » فاشارت عليه

كيف يستقبل ابن عمه أبا بكر ، فعمل برأيها فتنازل له ابو بكر عن الرئاسة وترك له نصف الجيش المرابط ، وعاد الى الصحراء يجاهد السودان بالنصف الآخر ، الى ان استشهد من سهم مسموم ، وذلك سنة ٤٨٠ ﻫ

خلاصة هذا الدرس

نشأت دولة الملثمين من قبيلة صنهاجة ، وأول امرائهم محمد ابن تيفاوت تولى في سنة ٤٠٠ ﻫ وقتل في سنة ٤٠٣ ﻫ فتولى بعده يحيى بن ابراهيم ، وفي سنة ٤٢٧ ﻫ ذهب الى الحج واستحضر معه من مدينة نفيس عبد الله الجزولي الفقيه لتعليم القبائل ، فاعرضت عنه القبائل واعتزم الرحيل فلم يمكنه الامير يحيى واعتزل واياه العالم ، فكثر عليهم الواردون ، فقوي امر الفقيه ، ودعا الى الغزو ، وقد توفي على اثر ذلك يحيى بن ابراهيم ، فقام مكانه ابو زكريا يحيى بن عمر اللمتوني وكان الامير الحقيقي عبد الله بن ياسين زعيم المرابطين وقد لبى هذا دعوة فقهاء سجلماسة ودرعة فاستولى عليها وازال منها المنكرات ، ثم عاد الى الصحراء وقد توفي الامير ابو زكريا في سنة ٤٤٧ ﻫ وتولى مكانه الامير ابو بكر فاستولى على

بلاد السوس والمصامدة وبرغواطة ؛ وجرح في هذه الحرب عبدالله ابن ياسين وتوفي متأثراً من جروحه فظل الامير ابو بكر على رئاسته، وفي سنة ٤٥٢ هـ سار هذا الامير الى الغزو وافتتح مدينة لوانة عنوة ثم سار الى الصحراء واستخلف على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين ، وكان شجاعاً فاضلا داهية ، فلما عاد الى عمه ابو بكر استقبله استقبالا حافلا ، وكان ابو بكر قد سمع بعظم شأن ابن عمه فتنازل عن الرئاسة وعاد الى الصحراء ثم استشهد من سهم مسموم

تمرين هذا الدرس

كيف نشأت دولة الملثمين ؟ لماذا سموا ملثمين ؟ اسرد لي اسماء ملوكهم ؟ لماذا سار يحيى بن ابراهيم الكدالي الى المشرق ؟ لماذا اعرضت قبائل البربر عن عبد الله ؟ لماذا اعتزل الامير يحيى ؟ لماذا سمي المرابطون بهذا الاسم ؟ متى توفي يحيى بن ابراهيم ؟ من قام بامر الملثمين بعد وفاة يحيى بن ابراهيم ؟ اسرد لي كيفية الاستيلاء على سلماجة ودرعة ؟ من زحف على بلاد المصامدة ؟ كيف توفي عبد الله بن ياسين ؟ من هو يوسف بن تاشفين وكيف ظهر امره ؟ لماذا تنازل ابو بكر عن الرئاسة وكيف مات ؟ اسرد لي خلاصة هذا الدرس.

الدرس السابع عشر

دولة المرابطين ايضاً

يوسف بن تاشفين

كان يوسف بن تاشفين كبير النفس بعيد المرامي طامحاً الى التبسط في الملك والاستيلاء على الممالك فلما تولى الرئاسة سنة ٤٥٣ هـ وبايعه اشياخ المرابطين زحف بنصف جيش المرابطين وتقرى المغرب بلداً بلداً ، وتتبع اهله قبيلة قبيلة ، فقوم يقاتلونه ثم يظفر بهم وقوم يفرون منه وقوم يلقون السلم اليه ، حتى رفع بلاد المغرب واطاعه معظم البربر فيه

مراكش — امش مسرعاً

ولما استفحل امر يوسف بن تاشفين في المغرب وبعد صيته سمت همته الى بناء مدينة يأوى اليها برجاله وجنوده ، فاشترى موضع مدينة مراكش وبناها ، ومعنى لفظة مراكش بالبربرية امش مسرعاً ، وسميت بذلك لانها كانت مسكناً للصوص .

حصار زناتة في فاس

ثم جمع في سنه ٤٥٤ هـ جيشاً جراراً زاد عن مئة الف وزحف على مدينة فاس فقاتلته قبائل زناتة قتالاً شديداً ، ثم

اندحروا وانحصروا في مدينة صدنية ، فدخلها عليهم عنوة ، ثم رحل الى فاس فحاصرها حتى فتحهـا « وهو الفتح الاول » ثم استعمل عليها عاملاً من لمتونه .

الحرب في فاس ايضاً

ثم خرج الى بلاد غمارة ففتح الكثير منها حتى اشرف على طنجة ، ثم رجع الى منازلة قلعة فازاز فاغتنم الفرصة تميم بن معنصر المغراوي واستولى بعشيرته على فاس وقتل عامل يوسف فيها

فلما علم يوسف بذلك سير الجنود لقتال تميم فشددوا الحصر عليه حتى دارت عليه الدائرة وقتل ، فقام مقامه القاسم المكناسي فجمع قبائل زناتة وقاتل بهم المرابطين حتى انتصر عليهم وازاحهم عن فاس .

قلعة فازاز

وكان يوسف حينئذ محاصراً لقلعة فازاز فاتاه الخبر بانهزام جنوده امام فاس ، فارتحل عن قلعة فازاز سنة ٤٥٦ هـ بعد ان ترك فيها جيشاً من المرابطين لحصارهـا ، فاقاموا عليها تسع سنين ثم دخلوها صلحاً سنة ٤٦٥هـ

فتح المغرب الاقصى

لما ارتحل يوسف بن تاشفين عن قلعـة ، فازاز سار الى بني مراسن ، ففتح بلادهم ، ثم سار الى بلاد فندلاوة ففتحها كلهـا ،

ثم سار الى بلاد ورغة ففتحها ايضاً ، و كان ذلك سنة ٤٥٨ هـ وفي سنة ٤٦٠ هـ فتح جميع بلاد غمارة وجبالها من الريف الى طنجة ، ثم زحف الى فاس وفتحها عنوة بالسيف وقتل خلقاً كثيراً من بني مغراوة ويفرن ومكناسة ، وهو الفتح الثاني لمدينة فاس

وبذلك تم ليوسف فتح جميع بلاد المغرب الاقصى ما عدا سبتة وطنجة .

سيرته العمرية

وبعد ان استقر الامر ليوسف بن تاشفين في المغرب الاقصى شرع يطوف البلاد بنفسه ويتفقد احوال الناس ، وينظر في سيرة ولاته وعماله ، حتى اصلح كثيراً من امور الناس ، وارجعهم عن كثير من غيهم ، وسار بهم سيرة عمرية .

سبتة وطنجة

كانت سبتة وطنجة لبني حمود الادريسيين الذين استولوا على الاندلس عقب انقراض الدولة الاموية فيها ، فظلوا يولون على سبتة وطنجة من وثقوا به من مواليهم الصقالبة حتى استقل بهما الحاجب سكوت البرغواطي ، واتصلت ايام ولايته بدولة امير المسلمين ابن تاشفين ، فدعا الحاجب الى مظاهرته على غمارة فلم يجب .

منازلة طنجة

فلما فرغ يوسف من امر المغرب صرف عزمه الى الحاجب

سكوت فجهز عليه سنة ٤٧٠ هـ جيشاً مؤلفاً من ٤٢ الف مقاتل بقيادة صالح بن عمران ، وسيرهم الى طنجة فلما قربوا منها برز اليهم الحاجب سكوت ، وقد اقسم ان لا يرجع حتى ينتصر او يموت « وكان عمره يناهز التسعين » فالتقى الجمعان بظاهر طنجة فانهزم جيش سكوت وقتل هو في المعركة ، واستولى المرابطون على طنجة ولحق ضياء الدولة يحيى بن سكوت بسبتة واعتصم بها .

المغرب الاوسط

وفي سنة ٤٧٢ هـ بعث الامير يوسف جيشاً بقيادة مزدلي بن تلكان اللمتوني للاستيلاء على المغرب الاوسط ، فسار الى تلمسان وعليها الامير العباسي بن بختي المغراوي ، فدخلوا المغرب الاوسط وقتلوا يعلي بن الامير العباسي ، ثم عادوا الى الامير يوسف في مراكش

استنجاد المعتمد بن عباد

علمت مما ذكرناه لك في اخبار الدول الاسلامية في الاندلس مجمل احوالها ، وما آل اليه امرها ، من تغلب الافرنج على اكثر ثغورها ، بسبب اختلاف كلمة امرائها وزعمائها ، فلما عظم امر يوسف بن تاشفين ، وكثرت فتوحاته ، تعلقت آمال العرب المسلمين في الاندلس باعانته ونجدته ، واتفق ان الفونس السادس ملك اراغون ضايق امراءهم ، في طلب الجزية ، وان المعتمد بن عباد قتل اليهودي معتمد الفونس ، الذي كان يتردد اليه لاخذ الجزية ، لانه خاطبه

بكلمة جافة ، فاغتاظ الفونس ، وشرع يتجهز الى اشبيلية فخاف المعتمد العاقبة و كتب الى يوسف بن تاشفين يستنجده ، فاجابه يوسف بقوله : اذا فتح الله علي سبتة اتصلت بكم .

هذا آخر بلاد الاندلس

اما الفونس ملك اراغون فانه زحف في سنة ٤٧٥ هـ في جيوش لا تحصى ، واستولى على اشبيلية وشدونه واكثر بلاد الاندلس ، فافسد وخرب فيها ، حتى وصل الى جزيرة طريف ، فادخل قوائم فرسه في البحر وقال : « هذا آخر بلاد الاندلس قد وطئته » ثم عاد الى سرقسطة فحاصرها ، ثم طليطلة فاغتصبها وذلك سنة ٤٧٧ هـ

الاستنجاد العام

فلما بلغ ضعف العرب المسلمين بالاندلس الى هذا الحد ، من عدم القدرة على الدفاع عن بلادهم اجمع رأيهم على مكاتبة الامير يوسف بن تاشفين ، فكاتبه اهل الاندلس كافة من خاصة وعامة ، يستصرخونه في تنفيس كربتهم .

منازلة سبتة براً وبحراً

فلما تواترت كتب العرب الاندلسيين ورسلهم عليه ، بعث ابنه المعز في عساكر المرابطين الى سبتة « لانها فرضة المجاز الى الاندلس » فنازلها براً ، و كان ابن عباد اشار عليه بان ينازلها

باسطوله بحراً ، فقبل منه واحاط اسطوله بها حتى افتتحوها عنوة سنة ٤٧٧ هـ وقتل ضياء الدولة يحيى بن سكوت .

العودة الى الاندلس

فلما بلغ يوسف فتح سبتة وكان بفاس يستعد للجهاد ، فرح وخرج في حينه قاصداً سبتة ليعبر منها الى الاندلس ، اما المعتمد ابن عباد فانه بعد فتح سبتة ، ركب البحر لاستنفار يوسف الى الجهاد ، فلقيه في طنجة ، فامره يوسف بالرجوع الى الاندلس ليستعد بمن عنده حتى يلحقه ، ثم جمع يوسف جيشاً جراراً وأجازهم البحر ، واتخذ الجزيرة الخضراء قاعدة لاعماله .

ابن عباد مسعر هذه الحروب

اما الفونس فانه بلغه الخبر وهو يحاصر سرقسطة ، فارتحل عنها واستمد امراء الافرنج ، فامدوه بجيوش جرارة ، فقصد بها الى يوسف ، ويوسف قصد اليه ايضاً بجيوشه ، فالتقى الجمعان بالقرب من بطليوس يفصل بينهما نهر بطليوس وكان نزول يوسف في موضع يسمى « الزلاقة » اما المعتمد فانه نزل في موضع آخر يحجز بينه وبين يوسف ربوة ، فلما تكاملت جيوش الفونس امرهم بالهجوم على المعتمد بن عباد قائلاً : « ان ابن عباد مسعر هذه الحروب وهؤلاء الصحراويون « المرابطون » غير عارفين بهذه البلاد وانما قادهم ابن عباد ، فان انكشف هان عليكم امر الصحراويين »

وقعة الزلاقة الشهيرة

فاتت جواسيس ابن عباد واخبرته الحقيقة، فاستمد يوسف ، لكنه لم يصله مدده حتى غشيته جنود الفونس وضايقته فصبر صبراً لم يعهد مثله وكاد يتلاشى جيشه لولا ان وافته جنود يوسف ابن تاشفين، وطبولها ملأت الجو فلما ابصره الفونس وجه حملته اليه فصادمته جنود يوسف صدمة ردته الى مركزه، ثم بعد قتال هائل انهزم الفونس مجروحاً وتمزقت جيوشه واستولى العرب المسلمين على ما كان لهم من الآلات والاسلحة وغيرها ، وسميت هذه الوقعة وقعة الزلاقة باسم الموضع الذي نزل فيه الامير يوسف بن تاشفين .

امير المسلمين

وبعد هذا الانتصار المبين عظم شأن يوسف بن تاشفين ولقب من ذلك اليوم بامير المسلمين وأتاه تقليد الخليفة العباسي « المقتدي بامر الله » على ما فتحه ولقب ناصر الدين ، ثم رجع الامير يوسف الى المغرب ظافراً

الاستيلاء على الاندلس

وفي سنة ٤٨٤ هـ طمع يوسف بالاستيلاء على الاندلس لانه تحقق ضعف اهلها ، فارسل جيشاً بقيادة سير بن ابي بكر ، فملك مرسية واعمالها ، ثم مدينة ودانية واعمالها ، ثم سار الى اشبيلية

وفيها صاحبها المعتمد بن عباد فدافع عنها دفاع الابطال ، فلم يفلح فاستمد بملك مراغون على ان تكون البلاد له فأمده ، ولكن المرابطين مزقوا جنوده شر ممزق ، ثم اقتحموا اشبيلية عنوة واسروا ابن عباد وارسلوه الى الامير يوسف ، فسجنه الى ان مات سنة ٤٨٨ هـ

ثم سار سير بن ابي بكر الى بطليوس وقبض على صاحبها عمر ابن الافطس وقتله هو وابنيه في يوم الاضحى سنة ٤٨٩هـ ورثاهم ابن عبدون بقصيدته التاريخية الشهيرة ومطلعها :

الدهر يفجع بعد العين بالاثر فما البكاء على الاشباح والصور

ثم ظل سير قائد الامير يوسف بن تاشفين يزحف بجنوده حتى استولى على جميع بلاد الاندلس ، ومحا منها ملوك الطوائف ولم يبق منهم غير المستعين بن هود صاحب سرقسطة ، فانه كان اعتصم بالافرنج .

وفاة يوسف بن تاشفين

توفي يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٠ بعد ان ملأ صيته المشرقين والمغربين وكان حازماً مؤثراً الاهل العلم والدين ، وهو اعظم ملوك المرابطين ، وقد جعله كثير من المؤرخين اول الدولة المرابطية لشهرته الخاصة وعدم شهرة من قبله .

خلاصة هذا الدرس

تولى يوسف بن تاشفين زعامة دولة المرابطين في سنة ٤٥٣ هـ وبني مدينة مراكش وحاصر فاس للمرة الاولى في سنة ٤٥٤ هـ وفتح الكثير من بلاد غمارة ولما ذهب الى منازلة قلعة فازاز استولى تميم بن معنصر على فاس فقاتله يوسف وقتله فقام مقام تميم القاسم المكناسي وازاح المرابطين عن فاس فسار ابن تاشفين الى بلاد مراسن ، وفندلاوة ، وورغة ففتحها جميعها ، ثم فتح بلاد غمارة وجبالها من الريف الى طنجة ثم فتح فاس عنوة وفي سنة ٤٧٢ هـ بعث جيشاً للاستيلاء على المغرب الاوسط فكانت شهرته قد وصلت الى الاندلس فتعلقت آمال العرب الاندلسيين به وكان الفونس يضايق امراءهم وقد استولى على معظم بلادهم فكاتب ابن عباد ابن تاشفين واستصرخه ، فبعث جيوشه واقتحم سبتة وقتل اميرها وعول على ان يجتازها الى الاندلس وكان المعتمد بن عباد قد وافاه الى طنجة فاسرع بالرجوع ثم جمع جيشاً جراراً واجازه الى الاندلس بعد ان اتخذ الجزيرة الخضراء قاعدة لاعماله ، اما الفونس فلما علم بقدوم ابن تاشفين استمد امراء الافرنج فامدوه ، والتقى الجمعان بجيوشهما الجرارة بالقرب من بطليوس فانهزمت جيوش

الاسبانيين ، وجرح الفونس ، وقد عظم شأن ابن تاشفين ولقب امير المسلمين ورجع الى المغرب ظافراً .

وفي سنة ٤٨٤هـ طمع بالاستيلاء على الاندلس فارسل جيشاً بقيادة سير بن ابي بكر فاستولى عليها بلدة بعد اخرى ، واسر المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية ، وقتل الافطس وابنيه اصحاب بطليوس ، وظل جيش ابن تاشفين زاحفاً حتى استولى على جميع بلاد الاندلس ومحا منها ملوك الطوائف

وفي سنة ٥٠٠ هـ توفي ابن تاشفين بعد ان ملأ صيتهُ المشرقين والمغربين ، وكان اعظم ملوك المرابطين .

تمرين هذا الدرس

من هو يوسف بن تاشفين ؟ ماذا عمل في المغرب ؟ ما معنى كلمة مراكش ؟ ما هو الفتح الاول ؟ لماذا قاتل تميم ؟ وما هو الفتح الثاني ؟ لماذا اصلح ابن تاشفين امور الناس ؟ اسرد لي كيف استولى ابن تاشفين على طنجة ؟ بمن سار للاستيلاء على الغرب الاوسط ؟ لماذا استنجدت الاندلس بابن تاشفين ؟ من قال هذا آخر بلاد الاندلس ؟ كيف اجاز ابن تاشفين الى الاندلس ؟ اين اجتمع المعتمد بن عباد بابن تاشفين ؟ اذكر لي كيف حدثت وقعة الزلاقة الشهيرة ؟ لماذا لقب ابن تاشفين بامير المسلمين ؟ ولماذا طمع بالاستيلاء على الاندلس ؟ في اية سنة توفي ابن تاشفين ؟ اسرد لي خلاصة هذا الدرس .

الدرس الثامن عشر

دولة المرابطين في الاندلس

علي بن يوسف

لما توفي امير المسلمين يوسف بن تاشفين ، قام بالامر بعده ابنه علي بن يوسف ، بعهد منه اليه ، فبايعه اهل المغرب والاندلس ، ووفدت عليه الوفود للتعزية والتهنئة ، الا اهل مدينة فاس فان ابن اخيه يحيى ابن ابي بكر كان اميراً عليها من قبل جده يوسف ، فلم يرض مبايعة عمه فخرج عليه ، فزحف اليه عمه حتى دنا من فاس ، فخاف يحيى العاقبة ، فسلم فاسا الى عمه ، فاسكنه عمه في مراكش ، ثم ابعده الى الجزيرة الخضراء ، وظل فيها الى ان مات .

فتح طلابوت

في سنة ٥٠٣ هـ جاز الامير علي الى الاندلس بقصد الجهاد ، فانتهى الى قرطبة ، ثم فتح مدينة طلابوت عنوة بالسيف ، ثم فتح حصوناً كثيرة ، حتى انتهى الى طليطلة فحاصرها ، فلم يتمكن منها ، فقفل راجعاً الى قرطبة ، فالمغرب الاقصى .

فتح غرب الاندلس

وفي سنة ٥٠٤ هـ فتح عامله الامير سير بن ابي بكر مدن ششرين وبطليوس وبرتقال واشبونة وغيرها من بلاد غرب الاندلس ، وكتب بالفتح الى امير المسلمين

سرقسطة وملك الاسبان

كانت سرقسطة من بلاد الاندلس تحت تسلط بني هود ، تغلبوا عليها في صدر المئة الخامسة وتوارثوها بعد تضعضع الحكم الاموي « كما علمت » الى ان كان منهم عبد الملك عماد الدولة الملقب بالمستعين ، فاراد ملك الاسبان الاستيلاء على بلاده ، فاتفق مع ابن رودمير على فتح سرقسطة فحاصرها سنة ٥١٢ هـ ، وشدد الحصار عليها .

اتحاد امراء الاندلس

ولما انصل خبر تشديد الحصار على سرقسطة بالامير علي بن يوسف ، كتب الى امراء غرب الاندلس يأمرهم بالاتحاد مع اخيه تميم بن يوسف (وكان يومئذ اميراً على شرق الاندلس) لينقذوا سرقسطة ولارن ، فاطاعوا امره وقاتلوا الاسبانيين قتالاً شديداً ، كان النصر فيها سجالا ، حتى سئم تميم ورجع الى بلنسية .

فتح سرقسطة وقلعة ايوب

ولما رجع تميم شدد ملك الاسبان وابن رودمير الحصار على سرقسطة فافتتحاها عنوة ، وذلك سنة ٥١٢ هـ ، وفي سنة ٥١٣ هـ زحف ابن رودمير الى شرق الاندلس، وشرع يفتح مدنه وحصونه حتى استولى على قلعة ايوب ، وهي احسن قلاع الاندلس.

امير المسلمين في الاندلس

فلما اتصلت هذه الاخبار بأمير المسلمين علي بن يوسف انزعج لها ، وجاز الى الاندلس في السنة المذكورة « وهو جوازه الثاني » وقاتل الاسبانيين ، وانتصر عليهم في عدة مواقع، واقر امر الاندلس واصلح احوالها ، وعاد في سنة ٥١٥ هـ بعد ان استخلف عليها أخاه تميم بن يوسف.

وفاة تميم وتولي تاشفين

وفي سنة ٥٢٠ هـ توفي الامير تميم بن يوسف ، فولى امير المسلمين مكانه على الاندلس تاشفين بن علي ، فكان حسن الجهاد والمحافظة على البلاد

مبدأ دولة الموحدين

وفي ايام هذا الامير « علي بن يوسف » ظهر في جبال المصامدة محمد بن تومرت المعروف بالمهدي ، فكان ظهوره

الضربة القاضية على دولة المرابطين ، ومبدأ لتأسيس دولة الموحدين « كما سيمر بك قريباً » وقد قاومه علي بن يوسف ، ولكن بدون جدوى .

وفاة امير المسلمين

توفي امير المسلمين علي بن يوسف سنة ٥٣٧ هـ وكان سائراً على قدم ابيه في الصلاح والعدل ، فتولى بعده ابنه تاشفين بعهد منه اليه ، ولقب المعز وذلك سنة ٥٣٧ هـ

استفحال امر الموحدين

وفي زمنه استفحل امر عبد المؤمن بن علي ، خليفة محمد بن تومرت المهدي في بلاد المصامدة ، حتى حدثته نفسه بالاستيلاء على المغرب الاقصى من يد الدولة المرابطة ، وبالفعل زحف عليهم فخرج تاشفين بن علي لقتاله ، فجرت بينهم حروب هائلة انهزم فيها المرابطون شر هزيمة ، ولما يئس تاشفين من رد هجمات الموحدين رحل الى وهران سنة ٥٣٩ هـ فتعقبه الموحدون اليها وقتلوه فيها وذلك في ٢٧ رمضان سنة ٥٣٩ هـ

حصار مراكش

لما قتل امير المسلمين تاشفين بن علي ، قام بالامر بعده اخوه اسحق بن علي ، ولكن لم يلبث طويلاً حتى داهمته جنود الموحدين

وحاصرت مراكش وهو فيها سنة ٥٤٠ هـ واستمر حصارها تسعة اشهر حتي جهد اهلها الجوع والخوف

انقراض الملثمين

ولما طال الحصار على مراكش خرج اهلها لقتال الموحدين فانهزموا امامهم ، واقتحموا عليهم المدينة في شوال سنة ٥٤١هـ وقتل عامة الملثمين ، وانقرض امرهم ، فاستولى الموحدون على جميع البلاد ومدة حكم الملثمين ١٤١ هـ .

خلاصة هذا الدرس

لما توفي يوسف بن تاشفين تولى مكانه ابنه علي بعهد منه فبايعه الاهالي كافة الا اهالي مدينة فاس التي كان يتولاها ابن اخيه فزحف عليها فاستسلم ، وفي سنة ٥٠٣ هـ اجاز الى الاندلس بقصد الجهاد فاستولى على قرطبة وطلابوت وحاصر طليطلة ، ثم عاد الى المغرب وارسل في سنة ٥٠٤ هـ عامله سير بن ابي بكر ففتح هذا شنترين وبطليوس وبرتقال واشبونة ، وكان الاسبانيون يحاصرون سرقسطة فاتحد امراء المسلمين بتأثير نفوذ امير المغرب ، وقاتلوا الاسبانيين قتالا شديداً ، ولكن ملك الاسبان يعاونه الامير تميم وابن رودمير شددوا الحصار على سرقسطة وافتتحوها عنوة وذلك سنة ٥١٢ هـ وفي سنة ٥١٣ هـ زحف ابن رودمير علي شرقي

الاندلس واستولى على مدنه وحصونه فانزعج علي بن يوسف وجاز الى الاندلس وقاتل الاسبانيين وانتصر عليهم ، وفي ايامه ظهر محمد ابن تومرت المعروف بالمهدي فكان ظهوره مبدأ تأسيس دولة الموحدين ، وقد توفي علي بن يوسف في سنة ٥٣٧ هـ وكان كأبيه خازماً وتولى بعده ابنه تاشفين فاستفحل في زمنه امر الموحدين ، وقاتلوا المرابطين ، ولما يئس من رد هجماتهم رحل الى وهران ، فتعقبه الموحدون وقتلوه ، فقام بالامر بعده اخوه اسحق بن علي فلم يلبث طويلا ، وقد حاصر الموحدون مراكش فانهزم المرابطون واستولى الموحدون على جميع بلادهم ، ومدة حكم المرابطين او الملثمين ١٤١ سنة .

تمرين هذا الدرس

من قام بالامر بعد وفاة ابن تاشفين ؟ اذكر لي حوادث سنة ٥٠٣ متى فتح غرب الاندلس ؟ من شدد الحصار على سرقسطة ؟ اسرد لي كيف سقطت سرقسطة وقلعة ايوب في ايدي الاسبان . لماذا اجتاز علي بن يوسف الى الاندلس مرة ثانية ؟ متى ظهر مبدأ دولة الموحدين ومتى استفحل امرهم ؟ اسرد لي كيف حوصرت مراكش ، وكيف انقرض المرابطون .

الدرس التاسع عشر

دولة الموحدين في مراكش

تمهيد

رأس هذه الدولة محمد بن تومرت الملقب بالمهدي ، واصله من هرغة من بطون المصامدة في جبل السوي ، اقصى بلاد المغرب وفيه نشأ ، ثم رحل الى المشرق طالباً للعلم ، فانتهى الى العراق ، وتتلمذ للغزالي ، فحصل قسطاً وافراً من العلوم ، ثم حج واقام بمكة ، وكان ورعاً شديد الانكار على الناس فيما يخالف الشرع ، متحملا الاذى بذلك ، ثم خرج من مكة الى مصر فالاسكندرية فالمهدية فبجاية وفيها وجد عبد المؤمن بن علي ، فتوسم به النجابة فاصطحبه معه ، وسار الى مراكش عاصمة الامير علي بن يوسف بن تاشفين ، وشرع يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر كعادته في كل بلدة ، فكثر اتباعه ، فخشي منه الامير علي ، على ملكه فضايقه ، فلحق بجبل السوي سنة ٥١٤ هـ وأعلن دعوته وانشأ دولة الموحدين كما ستعلم .

محمد بن تومرت – المهدي

لما وصل محمد بن تومرت الى جبل السوي تسامع به اهل تلك النواحي ، فوفدوا عليه ، فصار يعظهم ويذكر لهم ما حدث من الظلم والفساد ، وما انتهك من حرمات الشرع الشريف ، وانه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول ، لاتباعهم الباطل ، بل الواجب قتالهم ، واقام على هذه الدعوة زهاء سنة ، وتابعته قبيلة هزغة وسمي اتباعه الموحدين ، ثم اعلمهم بان النبي قد بشر بالمهدي وبين لهم وصفه ، فقام اليه عشرة رجال ، احدهم عبد المؤمن بن علي ، وقالوا له انت المهدي ، وبايعوه على ذلك .

محاربة امير المسلمين للمهدي

لما سمع امير المسلمين علي بن يوسف ببايعته ، ارسل عسكراً لقتاله ، فكسر العسكر مع كثرته وقلة رجاله ، فقوي ظن الناس به ، وعظم امره ، فاراد الامير علي ان يقبض عليه فلم يفلح .

البيعة العامة وبث الدعوة

وحين رأى المهدي التضييق عليه ، خرج مع اصحابه الى مدينة تينملل ، فاقام فيها ، وعظم صيته في جبل درن ، وكثر اتباعه ، فدعا الناس الى بيعته ، وخطب فيها بانه المهدي المنتظر فبايعوه بيعة عامة ثم بث دعوته في بلاد المصامدة حتى استولت محبته على قلوب الجميع .

الدعوة الى الجهاد

ولما علم ان دعوته قد رسخت قام في الجموع خطيباً ، ودعاهم الى جهاد المرابطين ، فبايعوه على الموت ، فانتخب عشرة آلاف من انجاد الموحدين ، وقدم عليهم أبا محمد البشير ، فساروا الى مدينة اغمات ، فبلغ الخبر امير المسلمين ، فجهز جيشاً لقتالهم ، فلما التقى الجيشان انتصر الموحدون على المرابطين ، وذلك سنة ٥١٦ هـ

تعميم الفتح والجهاد

ومن ثم انتشر ذكر المهدي في جميع اقطار المغرب والاندلس ، ثم غزا مراكش وحاصرها ثلاث سنوات ، من سنة ٥١٦ الى ٥١٩ ، حتى اذا ضجر منها نهض الى وادي نفيس غازياً ، فانقاد له اهل السهل والجبل ، وسار الى بلاد المصامدة يقاتل من ابى طاعته ، حتى فتح بلاداً كثيرة ، ثم غزا مدينة اغمات وبلاد هزرجة واهل درن ، ففتح قلاعه وحصونه .

غزو مراكش ايضاً

وبعد ان استراح اصحابه انتدبهم الى غزو مراكش وقتال المرابطين ، وقدم عليهم عبد المؤمن بن علي ، فلقيهم في اغمات ابو بكر بن علي بن يوسف في جيش جرار ، فتقاتلوا ثمانية ايام انهزم بعدها المرابطون الى مراكش .

وفاة المهدى

وبعد هذه الحادثة توفي المهدي سنة ٥٢٤ ﻫ وكان عالماً فقيهاً راوياً للحديث ، فصيح اللسان مع سياسة ودهاء واقدام ، وكان كثيراً ما يتمثل بقول ابي الطيب

اذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في امر حقير كطعم الموت في امر عظيم

عبد المؤمن بن علي الكومي

لما توفي المهدي طمع كل واحد من العشرة اخصائه الى الخلافة بعده وكانوا من قبائل متفرقة ، ثم خافوا الشقاق بينهم فاتفقوا على خلافة عبد المؤمن بن علي الكومي ، لانه غريب عنهم وليس من المصامدة ، وقد تم له الامر بعد مضي سنتين من مدة المهدي ، وبويع البيعة العامة سنة ٥٢٦ ﻫ

لقب امير المؤمنين

هذا اللقب خاص بالخليفة الاعظم واول من زاحم الخلفاء عليه عبيد الله المهدي اول ملوك الفاطميين في افريقيا ، ثم تبعه عبدالرحمن الناصر الاموي في الاندلس ، فكلاهما قرشي من بني عبد مناف ، ثم لم يتجاسر احد على التلقب به ، ولما تولى يوسف بن تاشفين من ملوك المرابطين ، واستولى على المغربين والاندلس تسمى امير

المسلمين أدباً مع الخليفة ، ولما جاء عبد المؤمن هـذا لم يبال بذلك بل تلقب بامير المؤمنين وذلك سنة ٥٢٨ هـ وتبعه على ذلك بنوه من بعده .

فتح المغربين

لما استتب الامر لعبد المؤمن صرف عزمه لفتح بلاد المغرب فغزا غزوة طويلة مكث فيهـا سبع سنوات ، اسفرت عن فتح المغربين معاً الاقصى والاوسط .

خارج جديد

لم يكد ينتصر عبد المؤمن على المرابطين ويستتب له الامر حتى خرج عليه خارج جديد من رجاله وهو محمد بن هود السلاوي من اهالي بلافانا دعا لنفسه وتسمى بالهادي ، وتمكنت دعوته من العامة واكثر الخاصة ، وبايعه اكثر القبائل فجهز له عبد المؤمن جيشاً ، فكسر الجيش ، فجهز له جيشاً آخر ، فدارت الدائرة على جيش السلاوي ، وقتل هو في المعركة ، وكفى الله عبد المؤمن امره .

استيلاء الموحدين على الاندلس

لما استولى عبد المؤمن على المغربين كما مر معك ، أتته وفود الاندلس تطلب استيلاءه على الاندلس من المرابطين فارسل

معهم جيوشاً فنزلوا على شريش ففتحوهـا ، ثم فتحوا ابله فشلب فبطليوس فباجه فاشبيلية « بعد ان حاصروها براً وبحراً » فقرطبـة وغرناطة حتى اصبحت بلاد الاندلس ، منذ سنة ٥٤٥ هـ تابعة لدولة الموحدين .

اعمال فظيعة

في سنة ٥٥٠ هـ امر عبد المؤمن ببناء المساجد في جميع بلاده ونبذ المسكرات ، وامر ايضاً بتجريد كتب الفروع ورد الناس الى قراءة كتب الحديث واستنباط الاحكام منها ، و كتب بذلك الى جميع طلبة العلم في بلاد الاندلس والعدوة « وهو عمل عظيم جداً قل من يقدم عليه من الملوك »

وفي سنة ٥٥٢ هـ نقل عبد المؤمن مصحف امـير المؤمنين عثمان بن عفان في قرطبة الى مراكش ، وفيها بني جامع الكتبيين في مراكش .

افتتاح افريقيا

وفي سنة ٥٥٣ هـ غزا عبد المؤمن افريقيا ، وافتتح المهديـة وطرابلس وصفاقس وسوسه وجبال نفوسه وقابس وغيرهـا واستخلصها من القائمين بها .

اول من احدث التكسير في الغرب

وفي سنة ٥٠٥ هـ امر عبد المؤمن بتكسير بلاد افريقيا بالفراسخ والاميال طولاً وعرضاً ، ثم اسقط من التكسير الثلث في الجبال والغياض والانهار والسباخ ، وما بقي قسط عليه الخراج والزم كل قبيلة بقسطها ، وهو ما يسمونه في هذا العصر : المساحة والاحصاء او « الكادستر و » وهو اول من احدث ذلك في الغرب .

غرب الاندلس او البرتغال

في سنة ٥٥٦ هـ جاز الى الاندلس ، ونزل في جبل طارق « او جبل الفتح » فاقام فيه شهرين ، واستشرف احوال الاندلس ووفد عليه قوادها ، فامر بغزو غرب الاندلس « بلاد البرتغال » فغزاها من قرطبة الشيخ ابو محمد عبد الله بن ابي حفص الهنتاني ، وفتح حصن المرنكش ، وقتل جميع من فيه ، وخرج الفونس لاغاثته فاندحر .

اربع مئة سفينة حربية

ولما استتب الامر لعبد المؤمن في المغربين وافريقيا والاندلس تاقت نفسه الى الجهاد ، فامر بتجهيز الجنود وبناء المراكب ، فبنى اربع مئة سفينه حربية ، ثم خرج من مراكش قاصداً الى الاندلس للجهاد .

وفاة عبد المؤمن

فلما وصل الى رباط ابتدأ به المرض ثم اشتد عليه الى ان توفي في ليلة الجمعة في الثامن من جمادى الثانية سنة ٥٥٨ هـ وكان عالماً فصيحاً ، ذا حزم وسياسة واقدام.

خلاصة هذا الدرس

اسس دولة الموحدين محمد بن تومرت في سنة ١٥٤ هـ وكان رجلا عالماً تقياً ، فكثر اشياعه فاسماهم الموحدين ، وقد اعلمهم بان النبي بشر بالمهدي ووصفه لهم فقالوا له انت المهدي وبايعوه ومال اليه الجميع فدعاهم ألى جهاد المرابطين حتى اذا التقى الجيشان انتصر الموحدون ، ثم فتح بلاداً كثيرة وغزا مراكش ، ثم توفي سنة ٥٢٤ هـ وكان داهية مقداماً ، وبعد وفاته طمع اصحابه العشرة في الملك ، ولكنهم خافوا التفرقة فولوا عليهم غريباً عنهم وهو عبد المؤمن بن الكومي ، فكان اول عمله انه تلقب بامير المؤمنين ثم غزا غزوات كثيرة ، وكسر المرابطين مراراً ، ثم فتح تلمسان وفاس ومراكش ، ومحا اثر المرابطين ، ولكنه ما كاد يستتب له الامر حتى خرج عليه خارج جديد من رجاله ؛ وهو محمد بن هود

السلاوي ، فحاربه مراراً حتى كسره ، ثم استخلص الاندلس من المرابطين واصبحت منذ سنة ٥٤٥ هـ تابعة له ، ثم غزا افريقيا وافتتح المهدية وطرابلس وصفاقس وسوسه وجبال نفوسه وقابس وغيرها ، وهو اول من احدث المساحة والاحصاء في الغرب ، وفي سنة ٥٥٦ هـ غزا غرب الاندلس (بلاد البرتغال) ودخر الفونس وقد بنى ٤٠٠ سفينة وخرج بها من مراكش قاصداً الى الاندلس للجهاد ، ولكن المرض اقعده عن متابعة قصده ، فتوفي سنة ٥٥٨ هـ وكان عالماً وسياسياً حازما .

تمرين هذا الدرس

كيف نشأت دولة الموحدين ؟ اسرد لي ملخص حياة منشئها محمد بن تومرت . كيف دعا الناس الى مبايعته ومن بايعه ؟ لماذا دعا الناس الى الجهاد ؟ اذكر لي نبذة من فتوحاته وحروبه . كيف انهزم المرابطون الى مراكش ؟ في اي سنة توفي المهدى ؟ كيف كانت سيرته ؟ ماذا فعل اصحاب المهدي العشرة بعد وفاته ؟ من اول من تلقب بامير المؤمنين في المغرب ؟ كيف استولى الموحدون على بلاد المغربين ؟ من هو محمد بن هود السلاوي ؟ اسرد لى كيف استولى الموحدون على الاندلس ؟ ما هي الاعمال العظيمة التى قام بها عبد المؤمن ؟ في اي سنة افتتح عبد المؤمن افريقيا ؟ من اول من احدث التكسير في بلاد الغرب ؟ اذكر لي غزواته لبلاد البرتقال . ماذا عمل عبد المؤمن بعد ان استتب له الامر ؟ كيف توفي عبد المؤمن ؟

الدرس العشرون

الالقاب من اسباب الخراب

يوسف بن عبد المؤمن

لما توفي عبد المؤمن بن علي بويع بعده بالخلافة ابنه يوسف سنة ٥٥٩ هـ فامتنع عن بيعته اخواه صاحب بجاية وصاحب قرطبة ثم بايعاه لما رأيا الناس مجمعين عليه

مزوع الغريب نصره الله عن قريب

وفي السنة نفسها (٥٥٩هـ) ثار في بلاد عماره مزوع الصنهاجي من صنهاجة وضرب السكة باسمه و كتب فيها « مزوع الغريب نصره الله عن قريب » فبايعه خلق كثير فارسل اليه امير المؤمنين جيشاً من الموحدين ، فقتله وحمل رأسه الى مراكش .

واقعة الجلاب

وفي سنة ٥٦٠ هـ حدثت وقعة الجلاب الشهيرة في الاندلس وكان القائد فيها على جيوش امير المؤمنين اخو ابو سعيد وعلى

جيوش الافرنج محمد بن مرونيش ، فـدارت الدائرة على الافرنج وانتصر العرب المسلمون .

ثورة في غمارة ايضاً

وفي سنة ٥٦١ هـ ثار سبع بن منغفاد في جبل تيزيران من بلاد غمارة ، وعظمت الفتنة في قبائلها ، فبعث اليهم يوسف جيشاً بقيادة الشيخ ابي حفص الهنتاني ، ثم تعاظمت الفتنة ، فخرج امير المؤمنين بنفسه واستأصلها وقتل سبع بن منغفاد .

الاستيلاء على شرق الاندلس

وفي سنة ٥٦٥ هـ ارسل الخليفـة يوسف أخاه أبا حفص الى الانداس في عشرين الفاً فاستولى على اكثر بـلاد ابن مرونيش ولما بلغ الاستيلاء امير المؤمنين ، عبر بنفسه الى الانداس في مئة الف فوصل الى قرطبة سنة ٥٦٧ هـ ثم ارتحـل بعدها الى اشبيلية فخافه ابن مردنيش فمرض فمات ، فجاء اولاده واخوته الى امير المؤمنين فسلموا اليه جميع بلاد شرق الانداس ، فاحسن اليهم وتزوج اختهم .

جامع اشبيلية

وفي هذه السنة (٥٦٧ هـ) شرع امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن في بناء جامع اشبيلية الشهير ، فتم انشاؤه في شهر ذي

الحجة منها وصليت فيه الجمعة .

تتمة الحوادث في ايامه

وفي سنة ٥٧١ هـ عاد الخليفة يوسف من اشبيلية الى مراكش وفي سنة ٥٧٥ هـ ثار احد بني الرند بقفصة بافريقية فسار اليه الخليفة يوسف فقتله سنة ٥٧٦ هـ ثم عاد الى مراكش سنة ٥٧٧ هـ

ثم بلغه ان الفونس يشن الغارات على الاندلس فسار اليه سنة ٥٧٩ هـ وحاصر مدينة شنترين غرب الاندلس ، ثم حصل سوء تفاهم بين عساكر المسلمين في بعض الاوامر المعطاة لهم فرحلوا عن المدينة والخليفة غير عالم بذلك ، ولم يبق معه الا القليل من خواصه .

جرح الخليفة وموته

فلما رأى الافرنج المحصورون بالمدينة قلة رجال يوسف خرجوا اليه وقاتلوه ، فجرح في هذه المعركة وانهزم اصحابه وساروا به الى اشبيلية ، ثم اراد العبور الى المغرب فاشتد ألمه فمات في الطريق سنة ٥٨٠ هـ وكان محباً للعلوم حسن السياسة والسيرة .

يعقوب بن يوسف

لما توفي الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بويع بعده ابنه يعقوب ابن يوسف سنة ٥٨٠ هـ فرجع بالناس الى اشبيلية واستكمل البيعة

ولقب المنصور ، ثم استفز الناس للجهاد فتوغل جيشه في بلاد العدو واستولى على بعض الحصون ، ثم اجاز البحر وعاد الى المغرب فرفع المظالم واكرم العلماء وواسى ذوي البيوتات

ثورة بني غانية

من اهم ما حدث في عهد الخليفة المنصور ثورة بني غانية السوفيين وخلاصتها : ان امير المسلمين يوسف بن تاشفين كان قد استعمل على الجزائر الشرقية من بلاد الاندلس وهي « ميورقه ومنورقه ويابسه » محمد بن علي السوفي المعروف بابن غانية فتولتها بنوه من بعده الى ايام الخليفة المنصور هذا فخلعوا طاعته ، وسار اميرهم يحيى بن اسحق بالاسطول واستولى على بجاية على حين غفلة من اهلها سنة ٥٨٠ هـ واجبر الناس على مبايعته ، ثم استولى على مازونه فمليانة فالقلعة ، ولما اتصل الخبر بالمنصور جهز جيشاً بقيادة ابي زيد بن ابي حفص فشرد ابن غانية الى الصحراء ، ثم زحف بخيله ورجله الى بلاد افريقية ، فسار اليه المنصور بنفسه من افريقية وشرد ابن غانية في خبر يطول شرحه ، ثم عاد الى مراكش سنة ٥٨٤ هـ

استيطان العرب في افريقيا

وفي ايام الخليفة المنصور هذا قدم العرب من بلادهم الى

افريقيا واستوطنوها بحللهم وخيامهم ، ومن ذلك الحين اصبحت ارض المغرب منقسمة بين امتين ، امة العرب وامة البربر ، وكانوا قبلا لا يستوطنون البلاد بل يقيمون فيها قيام المحتلين .

اول غزوات المنصور في الاندلس

وفي سنة ٥٨٥ هـ سار الخليفة المنصور بنفسه الى عرب الاندلس فشن الغارات على مدينة لشبونة وانحائها ، وابلغ في نكاية الافرنج ووطد الامور ثم عاد الى فاس .

الالقاب من اسباب الخراب

في هذه الاثناء كانت الحروب الصليبية قائمة في البلاد الشامية ، وقد استولى الافرنج على بيت المقدس وغيره ، ونهض بطل الاسلام الشهير صلاح الدين الايوبي لمقاومتهم ، فارسل صلاح الدين الى يعقوب المنصور هدايا نفيسة وطلب منه تسيير اساطيله لدفع الافرنج عن البلاد الاسلامية ، ولكن صلاح الدين لم يخاطبه في رسالته بلقب امير المؤمنين فلم يجبه المنصور الى طلبه .

ابن غانية ايضاً والافرنج

وفي سنة ٥٨٦ هـ عاد ابن غانية الى افريقية واستولى عليها فنهض المنصور اليها من فاس ففر ابن غانية الى الصحراء لما سمع

بقدومه ولما علم الافرنج في الاندلس ان المنصور اشتغل عنهم بابن غانية طمعوا في البلاد واستولوا على مدينة شلب وباجة ومايورهمن غرب الاندلس

وقعة حصن الارك الهائلة

وحين بلغ المنصور عمل الافرنج اغتاظ جداً وعاد الى فاس، ثم زحف منها الى الاندلس حتى اذا قارب حصن الارك « مركز معسكر الافرنج » حث العرب المسلمين على الثبات ، فلما رآهم الفونس، امر فرقة بمهاجمتهم وصدهم عن التقدم ، فهجمت الفرقة وكادت تنتصر لولا شجاعة الشيخ ابي يحيى بن ابي حفص وحسن تدبيره ، فانه تمكن من حصر الفرقه المهاجمة وملاشاتها حتى لم ينج منها الا طويل العمر ، وقضى الشيخ شهيد بسالته ، اما الفونس فانه هجم بمجموعه فتكاثرت عليه جيوش العرب المسلمين وبعد قتال هائل انتصر المسلمون انتصاراً باهراً ، وفر الفونس ، اما الخليفة المنصور فانه عاد الى اشبيلية منصوراً .

هدنة خمس سنوات

لما فر الفونس سار الى طليطلة عاصمة ملكه ، وجمع جيشاً آخر وهاجم المسلمين ، فقاتله المنصور مرة اخرى وانتصر عليه ، فطلب الفونس من المنصور هدنة خمس سنوات ، فاجابه الى ذلك

ثم عاد الى مراكش سنة ٥٩٤ هـ

وفاته وسيرته

توفي المنصور سنة ٥٩٥ هـ وكان سياسياً حازماً مع دين، وقد مدحه كثير من الشعراء

خلاصة هذا الدرس

بعد ان مات عبد المؤمن تولى بعده ابنه يوسف، فثار عليه مزوع الصنهاجي في بلاد غمارة فارسل اليه جيشاً قضى عليه، وفي ايامه حدثت وقعة الجلاب الشهيرة في الاندلس، ثم ثار عليه سبع ابن منغفار فاستأصل فتنته وقتله، ثم استولى على شرق الاندلس وبنى جامع اشبيلية في سنة ٥٦٧ هـ، ثم قتل احد ثوار بني الرند في افريقيا، وحاصر مدينة شنترين غرب الاندلس فجرح وهزم ثم مات في طريقه الى الغرب من شدة الالم، وذلك سنة ٥٨٠ هـ، وكان محباً للعلوم وسياسياً حسناً، وبعد وفاته تولى الخلافة بعده ابنه يعقوب ولقب المنصور، ومن اهم ما حدث في ايامه ثورة بني غانية، فقضى عليها وشرد ابن غانية الى الصحراء وفي ايامه استوطن العرب افريقيا، وفي سنة ٥٨٥ هـ شن المنصور الغارة على لشبونة

وكان الصليبيون في هذه الاثناء قد احتلوا بيت المقدس فاستنجد صلاح الدين الايوبي بالمنصور فلم ينجده لانهُ لم يلقبه في رسالته بامير المؤمنين ، وفي سنة ٥٨٦ هـ اشتغل المنصور مع الافرنج بابن غانية الذي عاد الى افريقية مرة ثانية فاستولوا على بعض مدن الاندلس فزحف عليهم المنصور بجيوشه وكان الفوز حليفها، وانتهت الحرب بعد هدنة مدتها خمس سنوات ، وفي سنة ٥٩٥ هـ توفي المنصور ، وكان سياسياً وحازماً وتقياً .

تمرين هذا الدرس

من قام بالامر بعد عبد المؤمن ؟ كيف انتهى امر مزوع الغريب ؟ اسرد لي تفصيل وقعة الجلاب . من هو سبع بن منغفار؟ كيف دخلت الاندلس في حكم يوسف بن عبد المؤمن ؟ من بنى جامع اشبيلية ؟ اذكر لي تتمة حوادث يوسف بن عبد المؤمن . كيف جرح الخليفة وكيف مات ؟ وكيف كانت سيرته ؟ من تولى بعده ؟ لماذا استنفر الخليفة يعقوب بن يوسف الناس ؟ اسرد لي تفاصيل ثورة بني غانية ؟ متى استوطن العرب افريقية ؟ ما هي اول غزوات المنصور ؟ لماذا لم يجب المنصور طلب صلاح الدين ؟ اذكر لي وقعة حصن الارك . لماذا طلب الفونس هدنة من المنصور؟ متى توفي المنصور وما هي سيرته ؟ اذكر لي خلاصة هذا الدرس .